التربية الرياضية في الإسلام

د. شوكت محمد عليان*

يندرج موقف الإسلام من الرياضة في تصور شامل للتربية البدنية والأخلاقية والاجتماعية، وينصهر في فلسفة عامة غايتها إعداد إنسان فاضل متكامل التكوين، فقد ضمن التشريع الإسلامي سعادة الإنسان البدنية بما سنه له من حركات منظمة في العبادات وبما أمره به من وجوب الاعتناء بجسمه قصد اكتساب الصحة والقوة والنشاط، ولأنه الإمام البشير النذير والقدوة لكل المسلمين كان الرسول ﷺ قد اعتنى بممارسة أنواع عديدة من الرياضة البدنية مثل العدو والمصارعة والرماية والفروسية والسباق بين الإبل، وفي هذا إشارة واضحة منه ﷺ ، لكل المسلمين بمشروعية هذه الأنواع من الرياضة البدنية في تكوين جسم المسلم القوي وحفاظه على لياقته، ولكونه يشرف بحمل رسالة الدعوة، فقد جعل الإسلام الرياضة البدنية داخلة في معظم العبادات، فالصلاة تشتمل على حركات منظمة تؤدي في أوقات معلومة يتحرك فيها الجسم تحركاً منتظما فيه قيام وركوع واعتدال وسجود ونهوض وجلوس، تتكرر ذلك بعدد الركعات خمس مرات في اليوم، مما يؤكد أن الشريعة الإسلامية التي حملها النبي العربي ﷺ للإنسانية جمعاء، وتولى المسلمون من بعده نشرها وحمايتها قد تضمنت فضلاً عن القواعد المتعلقة بالعقيدة، قواعد تنظيم العلاقات الاجتماعية، واحتوت على أسس التربية المتزنة الشاملة بما في ذلك التربية البدنية كأساس، حيث اهتم الإسلام في فرائضه بالجسم والروح والعقل وجمعهم في تناسق لا يمكن أن تنفصم عراه، واعتبرهم وحدة واحدة لا تتجزأ،وكل ما يؤثر في الجسم يؤثر بالتالي في العقل،

فكما فرض الإسلام الصلاة فرض الله عز وجل الحج بما يتضمنه من ترحل ومناسك كالسعي والهرولة، وفرض الصوم تدريباً للنفس وتهذيباً لها، تأكيداً لأثر النشاط البدني المنظم في تربية الفرد وإعداده للحياة المتدفقة الزاخرة.

وما إن عم الإسلام وقويت أركان دولته الجديدة وما تبعها من ازدهار العمران وانتشار الرفاه والاستقرار حتى انغمس العرب في فنون الملذات وعوائد الترف وتعاطوا أصناف اللعب واللهو والرياضة فسخروا لكل صنف منها الآلات والأدوات ونظموا له الأوقات والمواسم وعقدوا له المباريات والمسابقات، ووضعوا له القواعد والقوانين والتزموا فيه بتقاليد وآداب غاية من الأخلاق الرياضية السامية، ومنها تأتي مشروعية الأنشطة الرياضية في الإسلام من حيث غرضها وهدفها الذي يرقى بالأخلاق ويحافظ على التقاليد والقواعد التي تؤكد على التنافس الشريف والروح السمحة التي جاءت الدعوة لنشرها وغرسها في نفوس البشرية جمعاء.

ومما ينهض دليلاً قوياً على مشروعية التربية الرياضية في الإسلام، الدين الذي انتشرت راياته، وانضوى تحت لواء دولته أمم وشعوب ودول وحضارات حث الإسلام ونبه النبي ﷺ على الجهاد ـ تلك الفريضة الإسلامية المقدسة. كل المؤمنين، فكان طبيعياً أن يحث الرسول ﷺ ، المسلمين على تعلم الرمي والاعتناء به وإعداد أدواته والتدريب على استعمالها قصد ترويض الجسم واكتساب القوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمهارة استعدادا للجهاد، وقد صح عنه ﷺ ، أنه قال: «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي! كما مر الرسول ﷺ بنفر يتناضلون بالسوق، فقال: ارموا يابني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، وأنا مع بني فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال لهم رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون!: فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: ارموا وأنا معكم كلكم، مذكراً بأصيل جذور هذه الأمة الإسلامية وجدها الذي كان وأبوه إبراهيم الخليل (عليهما السلام) أما أكثر الرياضات التي شرعها الإسلام الفروسية وركوب الخيل، كيف لا .. وقد كرمت الخيل بأن ذكرت في القرآن الكريم مرات عديدة، وكان الرسول ﷺ من أرغب الناس في اقتناء الخيل وأشدهم عجباً بها وإكراماً لها حيث يقول: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم. وقوله ﷺ: بطونها كنز وظهورها حرز، بل بلغ اعتزاز الرسول ﷺ بالخيل أن جعلها من الحيوانات التي لا تجب فيها الزكاة، فقال ﷺ ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة، بل إن الرسول ﷺ قد بذل كل مافي وسعه لتنمية اهتمام العرب بالخيل قصد تربيتها وترويضها وإعدادها للجهاد ـ الغرض الذي من سببه كانت مشروعية التربية الرياضية وممارسة الرمي والفروسية تحديداً، فقال ﷺ : التمسوا نسلها وباهوا بصهيلها المشركين وكان الرسول الكريم ﷺ وهو إمام الأمة وخير قدوة لها ـ يشير على أمته بأهمية القوة والتزود بما يؤدي إليها من خيل فيها المغنم والأجر.

وما أجمله ترغيباً وتوصية على هذا النوع من الحيوان الذي يتساوى مع الإنسان إنهما لا تجب فيهما الزكاة.. بل إن بعض المصادر تضيف أن الله ـ عز وجل ـ لما خلق آدم عليه السلام علمه أسماء الخلق وقال له: يا آدم، اختر من خلقي ما شئت، فاختار الفرس، فقال تعالى: «اخترت عزك وعز ولدك خالداً ما خلدوا وباقياً معهم ما بقوا فبركتي عليك وعليهم» إلا أن الجانب غير المشروع إسلامياً في سباقات الخيل كرياضة، أن الرسول ﷺ أن ألعاب الحظ والمقامرة تشمل سباق الخيل، وتكون سبباً في إثارة العداوة والبغضاء بين العرب، فحرم تلك الألعاب، لكنه استثنى منها سباق الخيل علما منه أن الفروسية ركن أساسي من أركان الدفاع عن الإسلام، وأصل متين من أصول الرياضة والتربية البدنية، فقال ﷺ : إن الملائكة لا تحضر شيئا من لهوكم إلا الرهان والنضال، ويروى عنه أيضا قوله ﷺ : لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل، وهكذا أبقى الرسول ﷺ على السباق والرهان غير أنه نظمهما وشارك فيهما ووضع لهما سننا وقواعد، فمن أجل ذلك نتعرف الآن على بعض هذه القواعد التي تقوم دليلاً عملياً على مشروعية السباق والرهان ولكن تبعاً لأحكام منها: أنه تم تحديد الرهان بشروط خاصة: فهو:

ـ لا يكون حلالا إلا إذا كان الرهن موضوعاً من أحد المتخاطرين،

فيكون الرهن من أحدهما شيئا مسمى.

ـ على أنه إن سبق لم يكن له شيء وإن سبق صاحبه أخذ الرهن.

ـ كذلك إن جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محللا وهو فرس ثالث يكون بين الأولين ويسمى أيضاً الدخيل.

ـ ولا يجعل صاحب الثالث شيئاً تم يرسلون اللأفراس الثلاثة، فإن سبق أحد الأولين أخذ رهنه ورهن صاحبه، فكان له طيبا، وإن سبق الدخيل أخذ الرهنين جميعاً، وإن سبق هو لم يكن عليه شيء

ـ ولا يكون الدخيل إلا رابحاً جواداً لا يأمنون أن يسبقهما فيذهب بالرهنين فهذا جائز في الرهان. وإذا كان المحلل غير جواد قد أمن أن يسبقهما، فهذا قمار لأنهما لم يدخلا بينهما شيئاً

لذا كانت البلاغة النبوية في التوضيح والتوصيل حيث قال ﷺ من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يؤمن أن يسبق فليس بقمار، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار.

والباحث حين يتسائل بالتحديد عن المشروع من الرياضات في الإسلام، لا بد أن يتوقف عند هذه العناية الفائقة للمسلمين بأنواع ثلاثة من الألعاب العربية الأصلية التي كان لها منزلة خاصة في تاريخهم، وهي: السباحة والرماية والفروسية، حيث يروى عن النبي ﷺ قول ﷺ محدداً: علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل، ولأنه ﷺ الامام الخاتم وسيد المرسلين وخاتم النبيين، يطلقه للبشرية جمعاء يطلب إليهم أن يعلموا أولادهم هذه الألعاب الأساسية، كما روي عنه أيضاً قوله ﷺ شارحاً بأفضل تمثيل وتوضيح: حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيباً، وصار أصحابه ﷺ وخلفاؤه على نهجه في هذا البيان والبلاغة في الإشارة إلى ضرورة الاهتمام بهذه التنشئة السليمة للفتوة والنشء الإسلامي، فلقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله

عنه، قد كتب إلى ساكني الأمصار الإسلامية وصية جاء فيها: أما بعد، فعلموا أولادكم العو م والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر، وهي وصية تؤكد على فلسفة الإسلام الصحيحة التي تتوجه للمسلم بما يقوي بدنه ويغذي عقله وروحه ووجدانه بالرياضة والمعرفة والتذوق للأدب والمثل والشعر وفن القول والبلاغة، وفي الاقتداء برسولنا الكريم ﷺ ، قولاً وفعلاً لنستنتج مشروعية ما رأى من نشاط وممارسة لأنواع عدة من الرياضات، لهي إشارات واضحة على هذه المشروعية.. فقد ثبت أن النبي ﷺ أخبر أن الرمي أحب إليه من الركوب فدل على أنه أفضل منه، ففي سنن أبي داود والنسائي والترمذي من حديث (عقبة بن عامر) قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة،صانعه المحتسب في عمله الخير، والرامي به، والممد به، فارموا واركبوا وأن ترامو أحب إلى من أن تركبوا، وأنه صح عنه من الوعيد في نسيان الرمي ما لم يجن مثله في ترك الركوب، ففي صحيح مسلم من حديث (عقبة بن عامر) قال: قال رسول الله ﷺ : «من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه فهي نعمة سلبها، وأن رمي السهم يعدل عتق رقبة كما في سنن أبي داود والنسائي والترمذي عن (عمرو بن عبسة)، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر» وفي لفظ للنسائي: من رمى بسهم في سبيل الله بلغ العدو أو لم يبلغ كان له عتق رقبة.

ونتابع التعليم النبوي الراقي في تبيان أهمية وفضل الرمي، أنه درجة في الجنة، كما رواه الطبراني من حديث أبي عوانة، عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ يوم الطائف: «قاتلوا فمن بلغ بسهم فإنها درجة في الجنة»، ما أجمل الترغيب النبوي هنا، وكذلك وصفه ﷺ الرمي بأنه نور يوم القيامة، فمن حديث محمد ابن الحنفية قال: رأيت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ أو قصر كان ذلك السهم نوراً يوم القيامة»، وثبت أن النبي ﷺ فدى الرماة بأبيه وأمه، ففي الصحيحين عن سيعد بن المسيب قال: قال سعد بن مالك نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد، فقال: «إرم فداك أبي وأمي»، كما ثبت أن النبي ﷺ كان من حرصه على الرمي يناول الرامي السهم ماله نصل يرمي به، وكان الرماة وقاية لرسول الله ﷺ ، فمن حديث سعد أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ ، قال سعد: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني السهم ويقول: «إرم فداك أبي وأمي» حتى إنه لينا ولني السهم ما له نصل فأرمي به.

ـ ومن باب الترغيب في أدوات الرياضة والجهاد في آن واحد، جاء إن من فضائل (القوس) أن النبي ﷺ كان يخطب وهو متوكىء عليها ويذكر عن أنس قال: ما ذكرت القوس عند النبي ﷺ إلا قال: «ما سبقها سلاح إلى خير قط»، ويذكر أن جبريل جاء يوم بدر وهو متقلد قوساً عربية.

أما من باب طعنه ﷺ بالحربة ومشروعية ذلك فقد روي أنه لماكان يوم أحد وأسند رسول الله ﷺ إلى الجبل أدركه (أبي بن خلف) وهو يقول أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، قال ابن اسحق: وكان أبي بن خلف ـ كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إن عندي العود ـ فرسا له ـ أعلفه كل يوم فرقاً من من ذرة أقتلك عليها، فيقول: بل أن أقتلك إن شاء الله، قال موسى بن عقبة، قال سعيد بن المسيب فلما أدرك أبي رسول الله ﷺ اعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله ﷺ ، فخلوا طريقه واستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة في سابغة الدرع والبيضة فطعنه بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فكسر ضلعاً من أضلاعه، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير، فاحتقن الدم قال: قتلني والله محمد، قالوا له: ذهب والله فؤادك أنه ما كان بك من بأس، قال: إنه كان قال لي بمكة أن أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني.. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون إلى مكة، قال ابن عقبة في هذا الحديث قال: والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين.

أما الرماح، فقد ذكرها سبحانه وتعالى في كتابه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكريم، فقال عز وجل: ﴿يأيها الذين أمنوا ليبلوكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾. ومن حديث عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم». والفروسية المشروعة في الإسلام أربعة أنواع، أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها، والثاني: الرمي بالقوس، والثالث: المطاعنة بالرماح، والرابع: المداورة بالسيوف، فمن أستكملها استكمل الفروسية، ولم تجتمع هذه الأربعة على الكمال إلا لغزاة الإسلام وفوارس الدين، وهم الصحابة (رضي الله عنهم)، وانضاف إلى فروسيتهم فروسية الإيمان واليقين والتنافس في الشهادة، وبذل نفوسهم في محبة الله ومرضاته، فلم يقم لهم أمة من الأمم البتة، ولا حاربوا أمة إلا وقهروها وأذلوها وأخذوا بنواصيها.

ومن آداب الرمي كما جاء في السيرة النبوية المشرفة، أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « ياعلي سل الله الهدى والسداد وأذكر بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم، ثم يخرج قوله ويتفقده ثم يتفقد سهامه فيمرها على إبهامه، وينظر ما ينبغي الرمي به فإذا وقع اختياره على الشق منه وهو الذب مسحه وتركه ثم يوتر قوسه ويتفقد وتره وينظر في سية القوس ومغامزها فإن كانت على الاستواء رمى عليها وإن كان فيها اختلاف تجنبها، فإذا رمى رسيلة لم يكبته على خطأ ولم يضحك عليه منه فإن كان هذا فعل السفل وقد أفلح من اتصف به، ومن عير أخاه بعمل ابتلي به ولا يحسده على إصابته ولا يصغرها في قلبه، ويقول رمية من غير رام ونحو هذا الكلام ولا يحسن أن يحد النظر إلى رسيلة حال رمية فن ذلك يشغله ويشوش عليه قلبه وجمعيته وينبغي للرماة أن يخرجوا هذا من بينهم فإن ضرره يعود عليهم.

ولأن التربية البدنية ومشروعية الفتوة والفروسية والرماية والقوة في الإسلام، نختتم هذا الفصل بوقفة مهمة مع حث الإسلام وتأكيده بل مدحه للقوة والشجاعة، وذم العجز والجبن، والشواهد عديدة يقول سبحانه وتعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾. وقال تعالى يصف المؤمنين ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ أي لا تضعفوا، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير: أحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وكان النبي ﷺ يتعوذ من الجبن، ولقد أكذب الله سبحانه وتعالى أطماع الجبناء في ظنهم أن جبنهم ينجيهم من القتل والموت.. فقال تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾

وفي وصية أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد (رضي الله عنهما): احرص على الموت توهب لك الحياة وقال خال د بن الوليد: حضرت كذا وكذا زحفا في الجاهلية والإسلام وما في جسدي موضع إلا وفيه طعنة برمح أو ضربة بسيف وهأنذا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء، وكثير من الناس تشتبه عليه الشجاعة بالقوة وهما متغايران فإن الشجاعة ثبات القلب عند النوازل ون كان ضعيف البطش فقد كان الصديق رضي الله عنه اشجع الأمة بعد الرسول ﷺ وكان عمر وغيره اقوى منه ولكنه برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال وهو في ذلك ثابت القلب رابط الجأش يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم فيثبتهم ويشجعهم، ولو لم يكن إلا ثبات قلبه يوم الغار وليلته، وثبات قلبه يوم بدر وهو يقول للنبي ﷺ يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك، وثبات قلبه يوم أحد وقد صرخ الشيطان في الناس بأن محمداً قد قلت ولم يبق أحد مع أحد وهو في ذلك ثابت القلب ساكن الجأش وثبات قلبه يوم الحديبية.

وقد قلب فارس الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أن الصديق رضوان الله عليه يثبته ويسكنه ويطيبه وثبات قلبه يوم حنين حين فر الناس وهو لم يفر انه الصديق أول من آمن، وخير من اقتدى واهتدى وسار على نهج محمد وتعلم في روضة مشرفة لخير معلم إنه معلم الإنسانية وسيد الأنام محمد بن عبدالله ﷺ .

* كاتب وباحث ـ الرياض ■